ظاهرة الحذف

فى الدرس اللغوى

تأليف الدكتور

طاهر سليمان حموده

أستاذ العلوم اللغوية بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٨

الدار الجامعية

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب ٣٥ الإبراهيمية - رمل إسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإن أولى خطى التجديد هى قتل القديم بحثاً، وقد أردت بتناول موضوع "الحذف فى الدرس اللغوى" أن أعرض لهذه الظاهرة من خلال دراسة القدماء لها عرضاً يتسم بالشمول والتنظيم، ذلك أن الحديث فيها عندهم قد تشتت مواضعه، وتناثرت أجزاؤه وعناصره فى أبواب الصرف والنحو وعلم المعانى.

والإشارة إلى الحذف عند القدماء متفرقة فى كثير من أبواب النحو والصرف، ولم تحظ الظاهرة بدراسة نظرية مناسبة عند القدماء باستثناء مواضع قليلة تجدها لدى حذاق النحاة كسيبويه وابن جنى وابن هشام كما نجدها فى علم المعانى بيد أنها لا تتسم بالشمول فى الموضع الواحد.

وعناية القدماء بالتطبيق – كما هى عادتهم – أغلب من عنايتهم بالتنظير فيما يتصل بهذه الظاهرة أو بغيرها من الظواهر، ولاشك انهم فى تطبيقهم يصدرون عن أفكار معينة يمكن أن تشكل جوانب نظرية متكاملة وإن لم يعن أحد بعرضها وإبراز عناصرها عرضا نظريا واضحاً.

لذلك كان من الضرورى للوقوف على أبعاد هذه النظرية عندهم من جمع ما تناثر من ملاحظاتهم وقواعدهم، وفحص ما قد يتناقض منها فى بعض الأحيان، مع الإفادة بالطبع بما يقدمه الدرس اللغوى الحديث بمنهجيه الوصفى والتحويلى، وهو ما يمكن أن يصل بنا إلى تصور دقيق شامل عن الظاهرة كما هى فى واقع اللغة وكما هى فى تصور القدماء من خلال دراستهم وملاحظاتهم عنها.

والحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة فى الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة حالية كانت أو عقلية أو لفظية، كما قد يعترى الحذف بعض عناصر الكلمة الواحدة فيسقط منها مقطع أو أكثر، ولعل مقارنة عابرة بين المنطوق والمكتوب فى لغة كالفرنسية تكفى فى الدلالة على الحذف الذى يعترى أواخر الكلمات.

وتحظى هذه الظاهرة بعناية خاصة من قبل أتباع المنهج التحويلى حيث يحاولون وضع القواعد والأحكام التى تنتظمها فى لغة من اللغات على أساس من نظرية تشومسكى فى التراكيب النحوية syntactic structures.

وقد رأيت أن أتناول ذلك فى التمهيد ثم أتبعه ببيان مدى عناية القدماء بدراسة الحذف وكيفية استخدامهم لمصطلحى " الحذف " و " الإضمار " وإلى ما تعرضوا له صدد ذلك من نقد من قبل بعض الدارسين المحدثين.

وبعد التمهيد الذى بينا فيه عناية التحويليين بالحذف، ووقفنا منه على جوانب كثيرة من التشابه بين منهجهم ومنهج القدماء فى دراسة

الظاهرة، رأيت بعد ذلك أن أعرض لأبعاد دراسة القدمـــاء للظـــاهرة وتصورهم لها من خلال خمسة فصول جعلت أولها لأسباب الحـــذف، وقد استقصيت فيه ما علل القدماء به الحذف على اختـــلاف مواضعـــه وأنواعه، وبينت ما إذا كانت هذه العلل مطـــردة أى قياســية أم غـــير مطردة، وقد شملت هذه الأسباب ما يتصل بالحذف على المســـتويات الصوتية والصرفية والتركيبية، فبعض هذه الأسباب يعلل بـــه الحـــذف على المستويات المذكورة جميعها، وبعضها يختص بأحدها، كما تناولت فى هذا الفصل الحذف لضرورة الشعر وهو حـــذف صوتـــى يعـــترى بعض الأصوات ويختص بلغة الشعر.

وفى الفصل الثانى تحدثنا عن أغراض الحذف، أى الأهـــداف المقصودة من قبل الناطقين عندما يحذفون بعض العناصر، وهو أمـــر يحظى بعناية البلاغيين بصفة خاصة وإن كان حذاق النحاة لا يغفلـــون الإشارة إليه وهذه الدراسة ذات صلة وثيقة بالمعنى، ولذلك تعـــد مـــن صميم عمل اللغويين، وهى مؤثرة فى تقدير الحذف أو عدمه.

وتناولت فى الفصل الثالث شروط الحذف التى وضعها القدماء ونبهت إلى أهمها وهو وجود الدليل على المحذوف، ويشمـــل الدليـــل أنواع القرائن المصاحبة للكلام من حالية وعقلية ولفظية وما يتفرع عن بعضها من قرائن صوتية أو إعرابية أو صناعيـــة تتصـــل بـــالأصول والقواعد النحوية، وقد فصلت فى بيان هذه القرائن على تنوعها، كمـــا عرضت للشروط الأخرى وبينت صدد كل منـــها مـــدى ســـلامته أو قصوره عن الشمول وعدم اطراده موضحا ذلـــك بالأمثلـــة، وســـبب القصور أو عدم الدقة فى بعض الشروط أنها كانت عقلية بعيـــدة عـــن التتبع الوصفى الواقعى للظاهرة فى مواضعها من اللغة.

وجعلت الفصل الرابع لتقدير المحذوفات، والأساس الذى يصدر عنه النحاة فى تقديراتهم للحذف والزيادة وإعادة الترتيب هو نفس ما يصدر عنه التحويليون وإن اختلفت الطرائق والأشكال عند كل فريق، وقد بينت فى هذا الفصل القواعد العامة التى وضعها القدماء لتقدير المحذوفات، وما هو أولى بالتقدير فى المواضع المحتملة لأكثر من وجه، ومن هذه القواعد ما يماثل بعض القواعد التحويلية فى الحذف فى بعض اللغات الأخرى.

وفى الفصل الخامس والأخير تناولت أنواع الحذف ومواضعه فى خمسة موضوعات أولها عرضت فيه للحذف الصوتى والصرفى، وقصدت به الحذف الذى يعترى جزء أو أكثر من أجزاء الكلمة الواحدة، فإذا لم ينتج عن الحذف تغير دلالى فهو حذف صوتى، وإن أدى الى ذلك كان صرفياً وتناولت فى الموضوعات التالية أنواعا من الحذف تتصل بالتراكيب النحوية، فبحثت فى الموضوع الثانى حذف الأسماء، وفى الثالث حذف الأفعال، وفى الرابع حذف الحروف، وفى الخامس حذف الجمل، وبينت فى كل منها مواضع الحذف، ورتبتها - فى الغالب - بحسب كثرة ورودها فى اللغة، وأشرت إلى المواضع القياسية والسماعية.

وقد حاولت - ما أمكن - تجنب التكرار فى الأمثلة التى يمكن أن ترد فى أكثر من موضع من مواضع البحث مكتفيا بالإحالة إليها فى موضعها الآخر، أو باختصارها.

وقد عنيت من الآراء النحوية - فى سائر البحث - بما يتصل بتقدير المحذوفات، ذلك أن البصريين قد يقدرون حذفا فى بعض المواضع لايراه الكوفيون، كما قد يقع الخلاف فى مقدار المقدر، كما أوردت

آراء ابن مضاء القرطبى التى تنتقد تقدير المحذوفـــات فـــى بعـــض التراكيب.

وفى الخاتمة ذكرت أهم النتائج التى توصل إليها البحث.

وبعد، فلعل هذا البحث أن يكون موفقا فى تناول شـــامل لـــهذه الظاهرة، وفى عرض واضح دقيق لدراسة القدماء، والكمال لله وحده، وحسبنا الجهد الصادق والله أسأل ان يوفقنا لما فيه الخـــير والصـــواب والسداد.

طاهر سليمان حمودة

تمهيـــد

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغـــات الإنســـانية، وتبـــدو مظاهرها فى بعض اللغات أكثر وضوحا، ونحن نرى أن ثبـــات هـــذه الظاهرة فى العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات لما جبلت عليه العربية فى خصائصها الأصيلة من ميل إلى الإيجاز جعلها - مثـــلا - تضمر فعل الكينونة فى الربط بين جزءى الجملة الاسمية، ولا تذكـــر لفظاً للتعبير عن الكون المطلق أى مجرد الوجود، فهو واجب الحـــذف إذا كان خبرا للمبتدأ بعد " لولا "، أو خبرا لـــ " لا " النافية للجنس، أو غير ذلك من المواضع. وليس الأمر كذلك بالنسبة لكثير مـــن اللغـــات التى تظهر أفعال الكينونة.

وينتج الحذف فى اللغات عن أسباب متشابهة فى أحيان كثيرة، منها ما يعرف فى العربية بكثرة الاستعمال-وسنبحثه بـــالتفصيل فـــى الفصل التالى-وهو ما نقف عليه فيما يعترى بعض التعبيرات الفرنسية التى يكثر استعمالها فى الحديث اليومـــى وهـــى ne..... pas " ولا خطوة "، ne ... rien " لاشىء " ، ne .... Personne " ولا شخص "، صارت هذه العبارات تستعمل استعمالا خاصا فى الرد على كثير من الأسئلة ذات الصيغ المعينة يتمثل فى حذف الجزء الأول من التعبيرات وهو كلمة ne الدالة على النفى فيكون الجواب : pas " خطوة "، أو personne " شخص " أو rien " شىء " وحدها، ولكـــن يفـــهم الفرنسيون من هذه الكلمة معنى النفى بعد حذف الكلمة الدالـــة أصـــلا

عليه، فإذا رد الفرنسى على سؤال بمعنى : " من هنـــاك ؟ " وأراد أن يقول : لا أحد ؛ كانت إجابته Personne أى "شخص" أو " أحد "[1].

وشبيه به فى العربية ما ذكر عند القدماء على أنه مـــن ســنن العرب فى كلامها حين يقولون " والله أفعل ذاك " يريــدون : لا أفعــل [2]. وكذلك حذف " لا " النافية قبل (تفتأ) كما فى قوله تعالى " تـــالله تفتأ تذكر يوسف " وقبل (أبرح) كما فى قول امرئ القيس :

*** فقلت يمين الله أبرح قاعدا ***

وذلك لجريان العرف على أن هذين الفعلين لا يســتعملان إلا منفيين، ولهذا السبب امكن الحذف اعتمادا علـــى قرينــة الاســتعمال المشهور[3]، وسنشير إلى ذلك فى مواضعه من البحث.

---

(١) د. محمود السعران : علم اللغة ص٣١٣.

(٢) ابن فارس:الصاحبى فى فقه اللغة، السيوطى: المزهر فى علوم اللغة ج٢ ص ٣٣١

(٣) ابن جنى : الخصائص ج٢ ص ٢٨٤.

النظرية التحويلية وظاهرة الحذف

النظرية التحويلية نظرية حديثة نشأت فى الخمسينات بعد أن وضع تشومسكى كتابة المشهور Syntactic Structures ، ثم تبعه عدد من اللغويين الذين طوروا نظريته أو أعطوها أشكالا متعددة، بيد أنه لا ينبغى أن نتوهم ان هذه الدراسات قد قفزت إلى الوجود فجأة، فالنحو التقليدى فى كثير من اللغات يحمل فى طياته كثيرا من عناصر النظرية[١].

ويعد كتاب تشومسكى أكبر الكتب أثرا فى جميع النظريات اللغوية، وتوصف نظريته بأنها ثورية بالنسبة لمسار الدرس اللغوى قبل تشومسكى، وهى مع كل ثوريتها كان قد أرهص بها فى كتابات زيلنج هاريز أستاذ تشومسكى، وفى كتابات بعض الدارسين الذين جعلوا يكتبون دون أن يضعوا إطارا نظريا كذلك الذى يظهر فى مواجهتنا بالنسبة للنظرية التحويلية[٢].

وقد تبع تشومسكى عدد كبير من اللغويين الذين طوروا نظريته أو أعطوها أشكالا متعددة، ومهما يكن من خلاف بينها وبين المناهج التقليدية فى التحليل والتقدير فإنها تقوم على أساس هام هو الاعتراف بوجود تركيب باطنى، أو بنية عميقة لكل جملة، هذا التركيب هو الذى يعطى المعنى المقصود للجملة، أما ما ينطق بالفعل او يرسم بالكتابة فيسمى عندهم بالتركيب الظاهرى او البنية السطحية Deep or

---

(١) انظر فى : السوابق التاريخية للنحو التحويلى :
Grinder & Elgin : Guide to Transformational Grammar, P. 30

(٢) Palmer : Grammar, P. 135

underlying structure وبين البنية السطحية Surface structure ويسمى تحويلا Transformation أو قانونا تحويليا Transformational rule[1].

إن اللغة عند - تشومسكى - هى أهم الجوانب الحيوية فى النشاط الإنسانى، وليس من المعقول أن تكون لها هذه الأهمية ثم تتحول إلى مجرد تراكيب شكلية يسعى الوصفيون الى تجريدها من " المعنى " ومن " العقل " فى هذا الوصف السطحى الذى قرره دى سوسير أوائل هذا القرن، ولذا فإن دراستها لا ينبغى ان تتوقف عند هذا المنهج الوصفى باعتباره مستقلا لا يتجاوز حدود المادة المباشرة، وإنما ينبغى أن تعيننا الدراسة اللغوية على فهم الطبيعة البشرية[2].

إن هناك أصولا عميقة فى التركيب الإنسانى تجعله منذ طفولته يتميز بالقدرة على نطق مئات من الجمل لم ينطقها من قبل، وأن يفهم ما يقال له من كلام لم يسبق له سماعه، وهناك مبادئ مشتركة أو كلية universals فى جميع اللغات الإنسانية تمثل جزء مما نسميه بالطبيعة البشرية، وعلى اللغوى إذن أن يضع فى حسبانه أولا " قدرة " الإنسان على اللغة، ومن ثم فإن وصف البنية السطحية فقط لا يقدم شيئا بل لا يعد علما لأنه لا يفسر شيئا ولكن الأهم هو أن نصل إلى البنية العميقة لأنها هى التى تقفنا على قوانين الطبيعة البشرية[3].

إن فحص البنية السطحية يعنى أن جانبا واحدا من التركيب قد تم بحثه أما الجانب الآخر الذى يتصل بالمعنى أكثر مما يتصل به

---

(١) د. محمد على الخولى : قواعد تحويلية للغة العربية ص ٢١ : ٢٢.

(٢) د. عبده الراجحى : النحو العربى والدرس الحديث ص ١١٤.

(٣) د. عبده الراجحى : النحو العربى والدرس الحديث ص ١١٤ ، ١١٥

الشكل الخارجي فإنه لم يفحص هذا الفحص المباشر، وما لـــم تحفـل دراسة التركيب (النحو) Syntax بالمعنى شأن عنايتها بالشكل فـــإن هذا القول سيظل قائما وهو : ليست هنالك من طريقه تشرح لنا كيـــف يفهم المتكلمون بلغة ما معانى الجمل[١].

وهكذا يعطى التحويليون اعتبارا هاما للأســاس العقلــى عنــد دراسة الصيغ والتراكيب اللغوية، وهم فى ذلك يتفقـــون مــع النحــو التقليدى ويرونه أكثر اقترابا من الطبيعة الإنسانية فى دراسته للغة حيث لم يقتصر على مجرد الوصف الشكلى للصيغ والتراكيب على نحو مــا يفعل كثير من الوصفيين ويدعون إليه[٢].

إن لملاحظة الأساس العقلى أهمية كبيرة فى الظاهرة اللغويــة، فالناس "عنــدمــا يتكلمون يبدأون بمجموعة مــن التصــورات التــى يرغبون أن يعبروا عنها، ثم يحولون هذه التصورات المجردة إلى شكل يتناسب مع التعبير فى الكلام وعندما يستمع النـــاس فإنــهم يســمعون أصواتا صدرت عن الآخرين، ومن ثم يسعون إلى أن يحولـــوا هــذه الأصوات إلى المعانى التى حاول المتكلم أن يوصلها، وتحــدث نفــس الدورة بين العبارة والمعنى فى الكتابة والقراءة ... والنظام الـــتركيبى للغة يتمثل فى مجموعة الأسس التى تربط معانى الجمل بأشكالها التــى تقع فى التعبير، والمعنى ينشأ فى العقل، ووظيفة النحو Syntax (علــم التركيب) هى دراسة العلاقات بين المعنى والشكل "[٣].

---

(١) Falk, Julia, Lingustics and Language P. 194

(٢) د. عبده الراجحى : النحو العربى والدرس الحديث ص ١٤٥

(٣) Falk, Julia, Lingustics and Language P. 193

وإذا كانت فكرة البنية العميقة هى أهم اسس النظرية التحويلية، فإن التحويليين يرون أنها لم تحظ بدراسة اللغويين فى القرن العشرين حيث انصبت عنايتهم على البنية السطحية، ويرون أنها قد تناولها البحث فى الدراسات اللغوية التقليدية(١).

ويعنينا مما قدمنا عن النظرية التحويلية أن نبين اتفاقها مع النحو العربى فى الأساس العقلى الذى تصدر عنه اللغة، وقد أدى ذلك إلى أن يتناول التحويليون مجموعة من القضايا التى طرقت فى النحو العربى والتى كان الوصفيون يعدونها من نقاط الضعف فيه ولا يملون من توجيه نقدهم إليها وهذه القضايا هى الحذف والزيادة وإعادة الترتيب وما يتصل بها من قضايا التقدير والأصلية والفرعية والعامل (٢).

إن الطريقة التى يقدمها النحو التحويلى فى تفسير ظاهرة الحذف شبيهة بما قدمه النحو العربى، وما يسميه التحويليون بقواعد الحذف الإجبارى شبيهة بما سماه نحاة العرب القدماء بالحذف الواجب حيث لا تكون الجملة صحيحه نحويا إذا ظهر المحذوف المقدر فى الكلام أى فى بنية السطح على حد تعبير التحويليين. ونعرض هنا لبعض الأمثلة التى يتناولها التحويليون بالنسبة للغة الإنجليزية صدد

---

(١) Ibid : 196

(٢) تفصيل جوانب الاتفاق بين النظرية التحويلية والنحو العربى فى الفصل الثالث من كتاب الدكتور عبده الراجحى : النحو العربى والدرس الحديث ص ١٤٥-١٦٠، والتحويليون يرون أن العمليات التحويلية تندرج تحت الأنواع الثلاثة الرئيسية و هى الحذف والزيادة و إعادة الترتيب، انظر :
Mark Lester: Iintroductory Tranformational Grammar of English P. 21.

ظاهرة الحذف، وقد تنطبق او تتشابه مع قواعد الحذف فى غيرها من اللغات.

والمثال الأول خاص بحذف الاسم الثانى فى الجملة التى تحتوى على فعلين، وذلك إذا كان فاعل الفعل الأول هو نفس فاعل الفعل الثانى وتسمى هذه القاعدة بـ Equi-Np-Delition (الحذف التبادلى للاسم) كما يتضح من الجملتين التاليتين :

1) Marvin expects Sylvia to win the Game
مارفن يأمل أن تفوز سلفيا باللعبة

2) Marvin expects to win the Game
مارفن يأمل أن يفوز باللعبة

فالجملة الثانية قد احتوت على فعلين حذف فاعل الفعل الثانى منهما، ونسوق التعليق بنصه ليتضح مدى التشابه بينه وبين منهج القدماء فى تقدير المحذوفات : " فى كلتا الجملتين (expects) هو نفس الفعل، ولكن فاعل (win) فى الجملة الأولى هو سلفيا، وفى الثانية فاعل (win) هو مارفن هذه الحقيقة لا يمكن المنازعة فيها من قبل المتكلم الأصلى للإنجليزية، ومع ذلك ففى البنية السطحية للجملة الثانية يبدو مارفن وحده فاعل الفعل (expects) كما كان فى الجملة الأولى. كيف إذن يمكن أن نعرف أن مارفن هو فاعل الفعل (win) ؟ إن التوضيح يتمثل مرة أخرى فى البنية العميقة أكثر من السطح، ففى العمق للثانية تكمن بنية يكون فيها مارفن فاعل (win)، ومالم توجد قاعدة التحويل الخاصة بحذف الاسم فإن هذه البنية العميقة ستظهر على السطح على الشكل التالى :

3) Marvin expects Marvin to win the Game.

وهذا التركيب غير نحـــوى بالنســـبة للبنيـــة الســـطحية فـــى الإنجليزية، فمارفن يجب أن يذكر فاعلا لـ (win) نتيجـــة محتومـــة لحقيقة ان المتكلمين فى الإنجليزية يعرفون أن الجملة (2) لـــها نفـــس معنى الجملة (3)، مع أن الأخيرة (3)غير نحوية فمارفن لا يمكن أن يظهر فاعلا للفعل (win) فى بنية السطح، ومن ثم فإن تحويلا إجباريا يجب أن يقع حتى تتحول البنية العميقة إلى بنيـــة ســـطحية صحيحـــة نحويا"[١].

ويتضح هذا الحذف لفاعل الفعل الثانى فى الجملة التالية :

Penelope hates to wash diches

حيث يذكر التحويليون أن (Penelepe) فى البنية العميقة فاعل الفعل الثانى أيضا (wash) ثم حذف الفاعل عند التحويل إلـــى بنيـــة السطح، ويتضح ذلك من المقارنة بالجملة التالية :

Penelops hates for david to wash dishes

حيث نجد فاعلا لكل فعل[٢].

ومن تتبع الظاهرة فى اللغة الفرنسية يصل التحويليـــون إلـــى نتيجة مؤداها أنه إذا وقع اسمان متشابهان فى جملة واحدة فإن أحدهما يجوز أن يحذف (أى اختيارا)، ويقـــع الحـــذف بالنســـبة للثـــانى لا الأول[٣]. وهذه القاعدة شبيهة بما سنذكره فى الفصل الخـــاص بتقديـــر

---

(١) Falk, Julia, Lingustics and Language P. 200 - 201

(٢) د. عبده الراجحى : النحو العربى والدرس الحديث ص ١٥٢

(٣) Langacker, Fundamentals of Linguistic Analysis P.113

المحذوفات حيث يذكر نحاة العربية أن التقدير لو احتمل كون المحذوف أولا أو ثانيا فكونه ثانيا أولى، وهو مبنى على أنّ الأصل هو حذف العنصر الثانى المكرر.

وقد نبه التحويليون إلى أن الحذف لا يرجع كله إلى التكرار، فحذف حرف الجر قبل (that) على سبيل المثال يقع دون اعتبار لوجود حرف مماثل أو عدم وجوده فى أى مكان من الجملة [1]. والحذف فى هذا الموضع يناظر ما فى العربية من حذف حرف الجر قياسيا قبل " أن" وأنّ" المصدريتين.

ويتضح فى مثال آخر يقدمه التحويليون كيف تحذف الصفة المكررة وذلك كما فى:

1) Algernon is as stubborn as our father is.

حيث يذكرون أن (our father is) مأخوذة من بينة عميقة هى :

(our father is stubborn) بقاعدة تحويلية تقتضى حذف الصفة المكررة (Stubborn) المذكورة فى الجملة الأولى المصاحبة[2]. والمحذوف هو الصفة الثانية.

والحديث عن الحذف أو الزيادة أو إعادة الترتيب يقتضى التسليم بمبدأ الأصلية والفرعية فى اللغة، أى لابد من وجود تركيب أصلى أو صيغة أصلية اعتراها الحذف أو الزيادة أو تغير ترتيب عناصرها، وهذا الأصل هو ما يسمونه بالبنية العميقة ويحاولون الوقوف عليه من خلال عناصر البنية السطحية، وتتضح عناصر

(١) Langacker. Fundamentals of Linguistic Analysis P 110

(٢) Ibid P 110

النظرية بهذا الأصل المفترض فى التراكيب فى اعتبارهـــا أن جميـــع التراكيب الخاصة بأية لغة من اللغات ترجع – على اختلافها وتعقدها – إلى نوع واحد من الجمل هو ما سماه تشومسكى جملـــة البـــذرة The kernel sentence وتتصف جملة البذرة ببساطتها وقصرها وبكونـــها أكثر التراكيب ورودا واستعمالا، وتنطبق هذه الأوصاف دائمـــا علـــى الجمل الإخبارية التقريرية المبنية للمعلوم [1]، مثل " ضرب زيد عمرا " فى العربية.

إن هذا الأصل فى تكوين الجمل – فى النظريـــة التحويليـــة – يفسر لنا كيف يعدون الجملة الطلبية مثل :

Read the book

كانت فى الأصل : **You will read the book**

وأنه قد حذف منها الفاعل والفعل المساعد (you will) [2].

وواضح أن ذلك يشبه إلى حد كبير التقدير فى النحـــو العربـــى، وهو ما لم يسلم من نقد فى القديم من قبل ابن مضاء،وفى الحديث مـــن قبل الوصفيين الشكليين.

قضية الحذف فى العربية بين القدماء والمحدثين :

لا شك أننا نعمد فى حديثنا أو كتابتنا إلى حـــذف كثـــير مـــن العناصر التى تتكرر فى الكلام، أو التى نستطيع الاستدلال عليها مـــن قرائن حالية أو مقالية، ونحن نستطيع فهم هذه العبارات التـــى حـــذف جانب منها اعتمادا على القرائن المحتفة بحيث لو افترضنا تجردها عن

---

(١) Chomsky, Noam, Aspects of The Theory of Syntax,P.17-18

(٢) Falk, Julia, Lingustics and Language P. 200 - 201

هذى القرائن للزمنا أن نعيد المحذوفات التى فهمنا معانيها من قبل دون أن نلفظ بها.

إن فهمنا لكثير من العبارات الموجزة يعتمد على تقديرنا لألفاظ غير منطوقة فى لغة الحديث أو غير مكتوبة فيما نقرؤه، ومن ثم فلا مجال لانكار هذه الظاهرة جملة، على الرغم من إمكان وقوع الخلاف فى بعض تفصيلاتها عند تقدير المحذوفات.

وقد تناول القدماء هذه الظاهرة بالدراسة ونعتوها بمصطلحين هما " الحذف " و "الإضمار "، ووقع استعمال كل منهما معاقبا للآخر بحيث يبدو للناظر أن لهما دلالة واحدة، وقد انتقد ابن مضاء القرطبى هذا الخلط فى استعمال المصطلحين بمعنى واحد غالبا، والتفريق بين استعمالهما فى أحيان قليلة فالنحاة يفرقون بين الإضمار والحذف حين يقولون : إن الفاعل يضمر ولا يحذف، وذلك حيثما أمكن تقديره بضمير مستتر، فكأنهم يريدون بالمضمر ما لابد منه، وبالمحذوف ما قد يستغنى عنه، بيد أنهم لا يسيرون على هذه التفرقة بين المصطلحين، بل يخلطون حين يقولون : " هذا انتصب بفعل مضمر لا يجوز إظهاره، والفعل بهذه الصفة لابد منه، ولا يتم الكلام إلا به، وهو الناصب، فلا يوجد منصوب إلا بناصب. وإن كانوا يعنون بالمضمر الأسماء. ويعنون بالمحذوف الأفعال، ولا يقع الحذف إلا فى الأفعال أو الجمل لا فى الأسماء فهم يقولون فى قولنا : الذى ضربت زيد، إن المفعول محذوف تقديره ضربته، فإن فرق بينها بما هو مقطوع بأن المتكلم أراده، وبما يظن أن المتكلم أراده ويجوز أن يريده فهو فرق، لكن إطلاق النحويين لهذين اللفظين لا يأتى موافقا لهذا الفرق[1].

---

(١) الرد على النحاة ص ١٠٥ ، ١٠٦

والواقع أن المصطلحين يستعملان بمعنى واحد عند النحاة ابتداء من سيبويه، ولا توجد تفرقة دقيقة تراعى فى استعمالهما باستثناء إضمار الفاعل الذى لا يسمونه حذفا، وسيبويه يتكلم فى مواضع كثيرة عن الحذف فى الاسماء والأفعال، وعن الإضمار فى الأفعال[1] بحيث لا يتبين من استعماله تفرقة بينهما.

وقد نبه سيبويه فى بداية كتابة إلى وقوع الحذف فى اللغة سواء أكان متصلا بالصيغ أو بالتراكيب، وبين كيفية الاستدلال على المحذوف وهو ما يعرف بالأصلية والفرعية فقال : " اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله فى الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون .... فمما حذف وأصله فى الكلام غير ذلك : لم يك ، ولا أدر ، وأشباه ذلك "[2].

وعنوان هذا الموضوع عنده " باب ما يكون فى اللفظ من الأعراض "[3]. يدل على انه يعد الحذف عارضا يعرض فى الكلام، وأن الأصل أن يرد الكلام بغير حذف، وهو ما يتفق عليه النحاة جميعا، وما نراه شبيها بما يقرره التحويليون من وجود بنية عميقة ترتبط بالمعنى ووجود ما يسمى بجملة البذرة.

ويقرر ابن جنى أن الحذف يعترى " الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شىء من ذلك إلا عن دليل يدل عليه"[4] وأن "

---

(١) الكتاب ج١ ص ٢٥٧ وما بعدها.

(٢) الكتاب ج١ ص ٢٤، ٢٥ وقوله : " مما " تعنى : ربما فهو يقصد ربما يحذفون كما يذكر السيرافى، و"ربما" هنا للتكثير، وعبارة "مما" تعنى من عادتهم أو من شأنهم.

(٣) الكتاب ج١ ص٣٦٠.

(٤) الخصائص ج١ ص ٣٦٠.

المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان فى حكم الملفوظ به إلا أن يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع منه"[1]. أى أن كل تقدير لمحذوف يقتضيه المعنى ولا تعارضه قوانين النحو هو الأصل قبل الحذف.

ويؤكد ابن جنى فى مواضع كثيرة من كتابه قضية الأصلية والفرعية وهى متصلة بالحذف والتقدير والزيادة وإعادة الترتيب، وقد نبه إلى مسألة هامة تتمثل فى أن بعض ما ينعت عند النحاة بالأصالة لا يعنى أن العرب قد نطقت به على هذه الأصول، وإنما هى أصول مفترضة أو متخيلة، وذلك مثل قولهم " الأصل فى قام قوم، وفى باع بيع، وفى طال طول، وفى خاف ونام وهاب : خوف ونوم وهيب، وفى شد شدد، وفى استقام استقوم، ... فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها – مما يدعى أن له أصلا يخالف ظاهر لفظه – قد كان مرة يقال، حتى إنهم كانوا يقولون فى موضع قام زيد قوم زيد ... وليس الأمر كذلك، بل بضده، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه، وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كذا أنه لو جاء مجئ الصحيح ولم يعل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا، فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر"[2].

ويحتج لصحة هذه الأصول المفترضة بأنها قد ترد شذوذا أو للضرورة على النحو الذى تصوره النحاة كقول الشاعر : [3]

صددت فأطولت الصدودوقلما وصال على طول الصدود يدوم

---

(١) الخصائص ج١ ص ٢٨٤.

(٢) الخصائص ج١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧.

(٣) الخصائص ج١ ص ٢٥٧.